

صلى الله
وسلم

غزوات الرسول

غزوة الطائف

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

مكتبة المركز العربي للدراسات

الطائف

شوقي حسن

بَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعْرَكَةِ
حُنَيْنٍ ، وَبَعْدَ أَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ . سَارَ إِلَى الطَّائِفِ
لِتُحَارِبَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَيْهَا ، وَكَانَ مَعَهُمْ مِنْ
كُفَّارِ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ وَمَعَهُمْ قَائِدُهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ .





تَحَرَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
نَحْوَ الطَّائِفِ وَمَعَهُمْ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي كَانَ يَزِيدُ عَلَى
أَلْفَيْ مُقَاتِلٍ ، وَقَدْ جَعَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
مُقَدِّمَةِ قُوَّاتِهِ عِيُونًا تَرْقُبُ لَهُ الطَّرِيقَ عَنْ بَعْدٍ ، وَجَعَلَهُمْ أَيْضًا
يَسْلُكُونَ طَرِيقًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ .

كَانَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مُنْذُ أَنْ وَصَلَ إِلَى الطَّائِفِ وَمَعَهُ
الْهَارِبِينَ مِنْ مَعْرَكَةِ حُنَيْنٍ قَدْ تَحَالَفَ مَعَ أَهْلِ الطَّائِفِ وَأَعَدَّ
جَيْشًا قَوِيًّا وَتَحَصَّنُوا بِحَصُونِهِمْ خَوْفًا مِنْ قُدُومِ جَيْشِ
الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ عَيْنَ عِيُونًا لَهُ عَلَى الطَّرِيقِ لِتَنْقِلَ إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ



وَفَجْأَةً رَأَى مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ حَصْنِهِ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ
تَأْخِذُ مَوَاقِعَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ حَصْنِهِ ، وَقَدْ فَرَضَتْ الْحَصَارَ عَلَى
أَهْلِ الْحَصَنِ . فَرَأَتْ قُوَّةَ الْمَشْرُوكِينَ تَقْدِفُ قُوَّةَ
الْمُسْلِمِينَ بِالسَّهَامِ فِي كَثْرَةٍ وَشِدَّةٍ .



وَبَعْدَ ذَلِكَ بَعَثَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ مِنْ حَصْنِهِ بِرِسَالَةٍ إِلَى
جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُ فِيهَا : الْمَوْتُ يَنْتَظِرُكُمْ ، فَقَدْ أَعَدَدْنَا
الْعُدَّةَ لِقِتَالِكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ يَنْتَظِرْ ، وَمَنْ ذَهَبَ حَمَى نَفْسِهِ مَنَا ،
وَمَعَنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِينَا . وَلَكِنْ مَالِكٌ رَأَى الْعَزْمَ وَالْإِصْرَارَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ إِذَا طَالَ الْحِصَارُ أَيَّاماً
طَوِيلَةً .

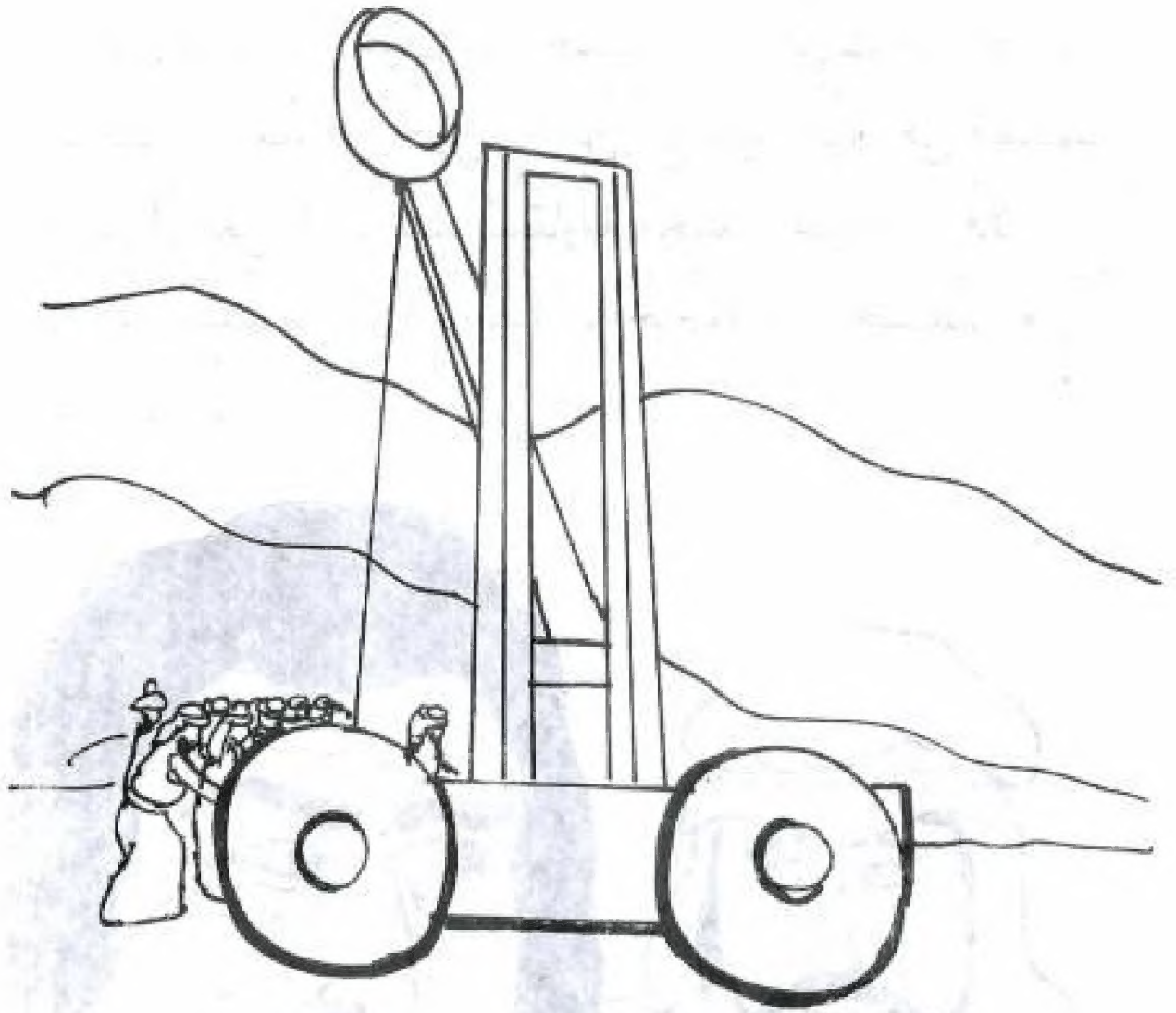


اجتمع زعماء الطائف من المشركين بمالك بن عوف
وقالوا له : إلى أي مدى يظل حصار جيش المسلمين لنا ، إن
الرجال في الحصن فقدوا عزيمتهم وقدرتهم على القتال ،
ونحن نرى أصحاب محمد عازمون على قتلنا .



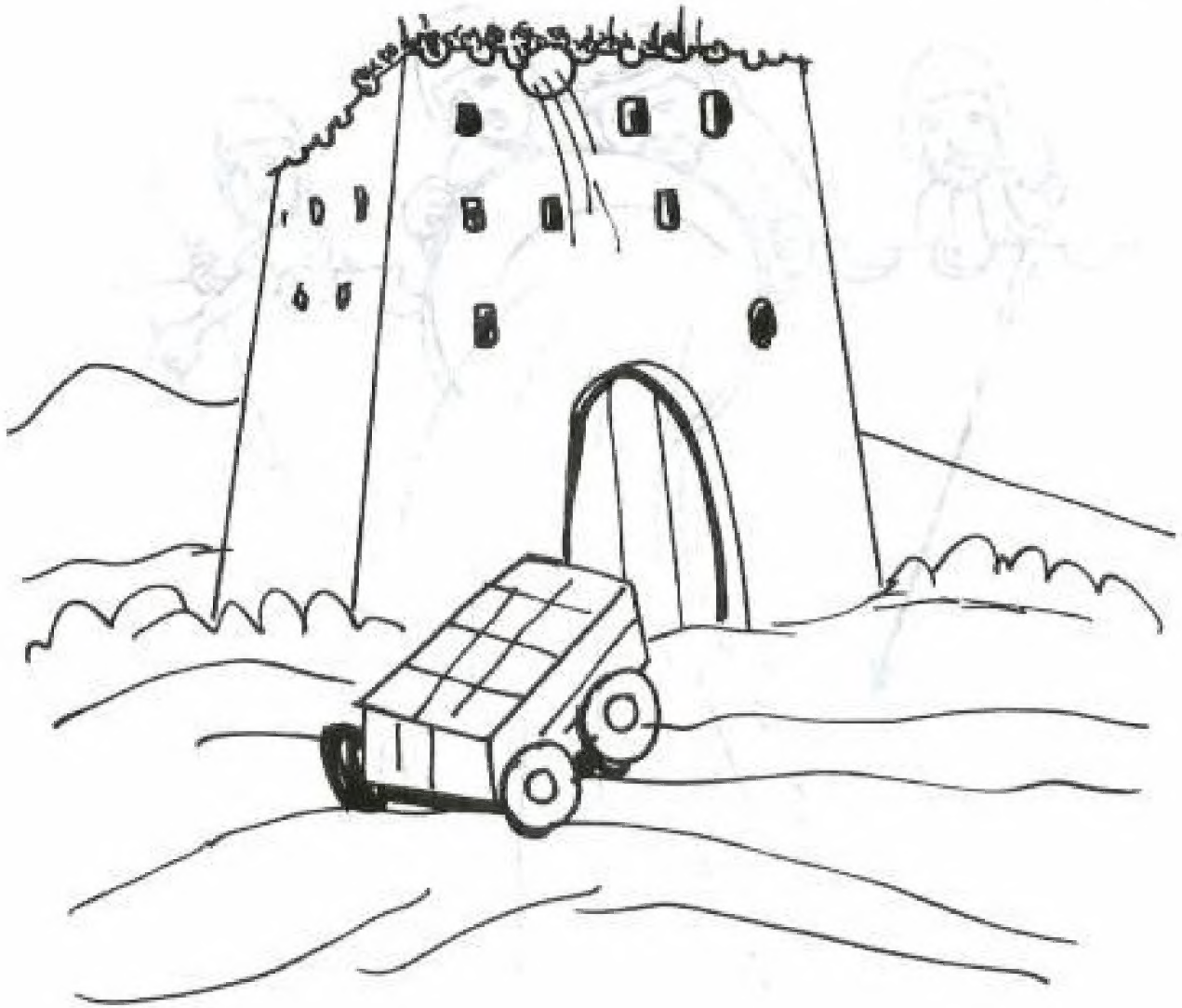
قَالَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ فِي غَضَبٍ : لَقَدْ هَرَبْتُ مِنْ قَبْضَةِ
أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فِي حَنِينٍ ، وَلَنْ أَقَعَ مَرَّةً أُخْرَى فِي قَبْضَتِهِمْ ،
وَمَا زَالَ مَعِيَ الْكَثِيرُ لِمُقَاوَمَةِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَإِنْ خَارَتْ
قُوَاكُمْ وَتَعَبْتُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحِصَارِ ، أَخْرَجُوا مِنَ الْحَصَنِ وَسَلَّمُوا
أَنْفُسَكُمْ لَهُمْ .





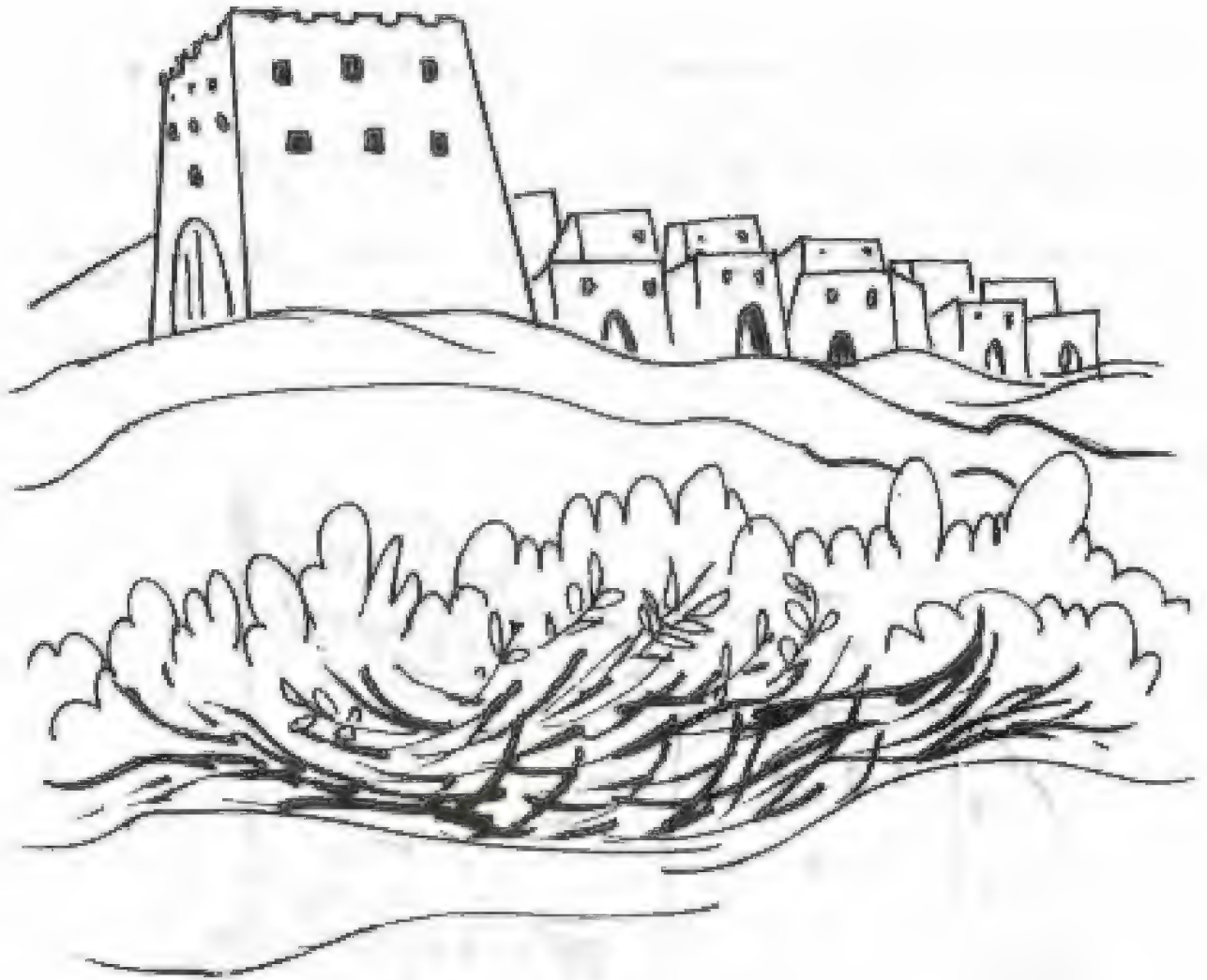
وبعد هذا الحصار الذي أفقد العدو صبره وعزيمته أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجاله بنصب آلة تستخدم في قذف
الحجارة تسمى «المنجنيق» فنصبه المسلمون وراحوا يقذفون
الحصن حتى يتحرك الموقف ويخاف العدو .

عندما قذف المسلمون الحصن حدث فيه شرخ من كثرة
القذائف الملقاة عليه ، وتحرك بعض أفراد المسلمين داخل
عربة من الخشب نحو الشرخ ، وراحوا يحدثون فتحة بالحصن ،
ولكن مالكا كان يعد لمثل هذا الأمر . فلما رأى ذلك أشار
إلى قواته التي ترابط فوق الحصن



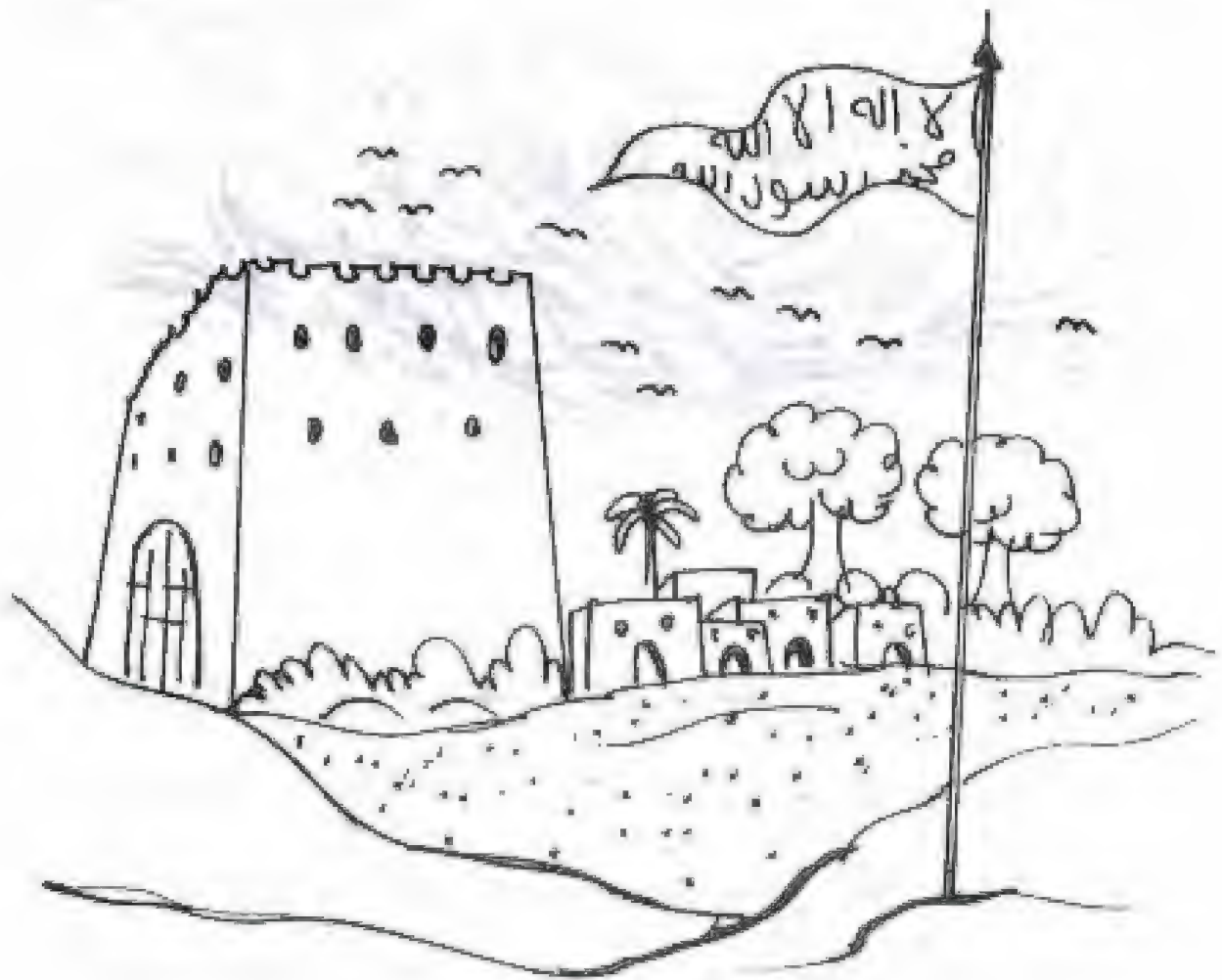
فَأَرْسَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهِمْ حَدِيداً سَاحِخاً وَسَائِلاً مَغْلِيّاً، فَأَسْرَعَ أَفْرَادُ
 الْمُسْلِمِينَ عَائِدِينَ إِلَى مَوَاقِعِهِمْ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الرَّسُولُ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَظَرَ حَتَّى حَلَّ الظُّلَامُ ، وَأَمَرَ رَجُلَهُ بِقَطْعِ
 الْأَعْنَابِ وَالشُّمَارِ الَّتِي تَحِيطُ بِالْحِصْنِ ثُمَّ يَحْرِقُونَهَا بَعْدَ ذَلِكَ .





فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا الْكَثِيرَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْكَفَّارُ خَافُوا
أَنْ يُصِيبَهُمُ الْجُوعُ ، فَدَعَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
يَتْرَكَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَتَرَكَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلَّهِ
وَلِلرَّحِمِ . وَكَانَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ قَدْ بَدَأَ يَفْقِدُ صَبْرَهُ وَشَجَاعَتَهُ .

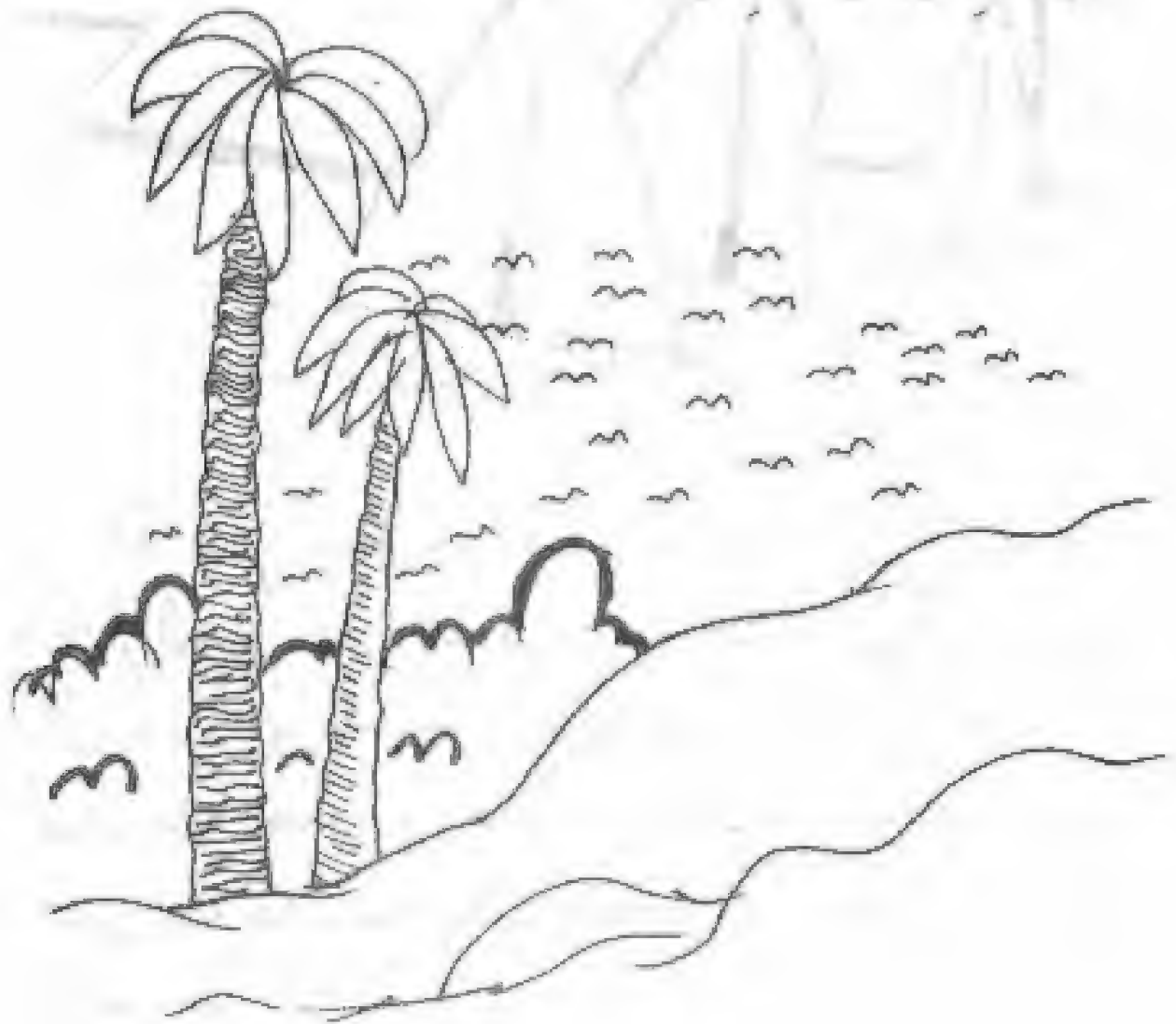
ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد رجاله أن
ينادي في أهل الحصن أنه من خرج فهو آمن ، فلما فعل ذلك
خرج إليه بعض الكفار ، فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم .





فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَلَمْ يَتِمَّكَنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ الْحِصَنِ ،
 اسْتَشَارَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي أَمْرِ الْحِصَنِ ،
 فَقَالَ لَهُ نَوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثَعْلَبُ فِي جَحْرٍ ، إِنْ
 أَقَمْتُ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرْكَ ، وَحِينَئِذٍ أَمَرَ الرَّسُولُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِرَفْعِ الْحِصَارِ عَنِ الْحِصَنِ
 وَالرَّحِيلِ بَعْدَ ذَلِكَ .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُخَاطِباً الْمُسْلِمِينَ :
 إِنَّا عَائِدُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، فَحَزَنَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا : أَنْذِهِبْ وَلَا نَفْتَحْهُ ؟ فَقَالَ
 لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدًا قَاتِلُوا . فَلَمَّا جَاءَ
 الْغَدُ وَقَاتِلُوا أُصِيبَ بَعْضُهُمْ بِجِرَاحٍ . فَلَمَّا عَادُوا قَالُوا : أَيُّونَ
 تَائِبُونَ عَائِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ .



فَلَمَّا عَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ وَأَطْلَمَانَ عَلَى مَكَّةَ وَالْقَبَائِلِ الْمُجَاوِرَةِ وَأَصْبَحَتْ يَحْكُمُهَا
الْمُسْلِمُونَ ، رَاحَ يَبْحَثُ فِي أَمْرِ الْقَبَائِلِ الَّتِي مَا زَالَتْ عَلَى
الشِّرْكِ .



وَفِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ ، أَمَرَ الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُرُوجِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي قُوَّةٍ إِلَى
قَبِيلَةِ طِيٍّ وَالَّتِي تَبْعُدُ عَنِ الْمَدِينَةِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْقَبِيلَةُ تَشْرِكُ بِاللَّهِ ، وَتَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَتَقُومُ بِأَعْمَالِ الْقَرَصِنَةِ
عَلَى تِجَارَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ
بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَفِرْقَتَهُ بِتَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ .





فلما علم عدي بن حاتم الطائي زعيم قبيلة طيء باقتراب
جيش المسلمين نحوه ، خاف على نفسه وأسرته ، وانتظر حتى
حل الظلام ونامت القبيلة ، فهرب هو وأسرته دون أن يدري
بهم أحد من القبيلة وفي الطريق بحث عدي عن شقيقته فلم
يجدها ، واكتشف عدي أنه قد نسيها .

وفي الصباح اكتشف رجال قبيلة طي هروب قائدهم
وزعميهم فتحصنوا وحملوا السلاح لقتال المسلمين فبعث
إليهم علي بن أبي طالب قائد المسلمين يطالبهم بالإسلام
الذي يضمن لهم الأمان . فمن ترك سلاحه وجلس داخل بيته
فهو آمن . فاختلف رجال القبيلة فيما بينهم .



فبعضهم رأى أن يسلموا وبعضهم رأى أن يقاتلوا . فذب
الصراع بينهم . فدخلها جيش المسلمين ، وأسروا رجالهم بعد
مناوشات وقتال قصير . ثم قام المسلمون بعد ذلك بتحطيم
أصنامهم ومعابدهم ، وأخذوا معهم السبي والغنائم .



وَلَمَّا سَأَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالُوا : لَقَدْ هَرَبَ
 عَدِيٌّ وَتَرَكَ أُخْتَهُ . فَقَالَتْ أُخْتُ عَدِيٍّ : مَا لَكُمْ يَا أَصْحَابَ
 مُحَمَّدٍ وَمَالُ عَدِيٍّ أَلَمْ تُصِيبُوا مَا أَتَيْتُمْ مِنْ أَجَلِهِ ؟ وَقَدْ حَمَلَتْ
 أَيْدِيَكُمْ الْغَنَائِمَ وَالسَّبْيَ . فَأَخَذَهُمُ الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً إِلَى
 الْمَدِينَةِ .



وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَضَعُوا الْأَسْرَى فِي مَكَانٍ
أَمِينٍ فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَى الْأَسْرَى
اسْتَعْطَفَتْ أُخْتُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَائِلَةً لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غَابَ الْوَأْفَدُ ، وَانْقَطَعَ الْوَالِدُ ، وَأَنَا سَيِّدَةٌ
كَبِيرَةٌ فَمَنْ عَلَى مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ .





فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ وَافِدُكَ ؟ قَالَتْ
عَدَى بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ : الَّذِي فَرَّ مِنَ الْكُفْرِ وَرَسُولِهِ ؟ ثُمَّ مَضَى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي الْيَوْمِ الْتَالِيِ قَالَتْ مَا
قَالَتَهُ بِالْأَمْسِ وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا ، فَمِنْ عَلَيْهَا الرَّسُولُ
الْكَرِيمُ ، وَخَرَجَتْ لِلْمَدِينَةِ مُرَّةً فَاسْلَمَتْ لِلَّهِ تَعَالَى .

وبعد ذلك خرجت من المدينة تبحث عن أخيها في الشام
 فلما استدلت عليه وعرفت مكانه ، ذهبت إليه ، فرحب بها في
 أسف فقالت له : لقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ما لم يفعله أبوك فهيأ معي يا عدو راغباً متقرباً لله تعالى ،
 ولتلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .





فَلَمَّا جَاءَ عَدَى إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ طَلَبَ مُقَابَلَةَ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَابَلَهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا يَغُرُّكَ ؟ أَيُغْرِكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ هَلْ
هَنَّاكَ إِلَهَ سِوَى اللَّهِ ؟ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ
عَدَى عَنِ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ عَدَى قَائِلًا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ انْبَسَطَ وَجْهُهُ فَرِحًا . وَانْضَمَّ
إِلَى أَفْرَادِ قَبِيلَتِهِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا .

فَلَمَّا عَلِمَتْ قَبِيلَةُ بَنِي كَلَّابٍ مَا صَارَ إِلَيْهِ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ
 وَقَوْمُهُ ، أَعَدَّتْ نَفْسَهَا لِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ يَأْتُونَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ
 رَفَضَ زُعَمَاءُهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَرَاحُوا يَقِيمُونَ
 أَصْنَامَهُمْ عَلَى مَشَارِفِ الْقَبِيلَةِ بِالْوَادِي لِكَيْ تَحْمِيَهُمْ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ .





فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدَ صَحَابَتِهِ
لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَرَفَضُوا وَقَالُوا : لَنْ نَكُونَ أَصْحَابَ
مُحَمَّدٍ . فَلَمَّا عَادَ الصَّحَابِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ أَمَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّحَّاكَ بْنَ سَفْيَانَ أَنْ يَجْهَزَ فِرْقَةً إِلَى بَنِي كِلَابٍ .

خَرَجَ الضُّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ بِفِرْقَتِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى
قَبِيلَةِ بَنِي كِلَابٍ . فَلَمَّا وَصَلَهَا دَارَ قِتَالٍ عَنِيفٍ بَيْنَهُمَا ،
وَاسْتَطَاعَ الضُّحَّاكُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَنْ يَهْزِمَ بَنِي كِلَابٍ وَأَنْ
يَرْفَعَ الْمُسْلِمُونَ رَايَتَهُمْ فِيهَا .





فَأَسْلَمَ بَعْضُ قَبِيلَةِ بَنِي كِلَابٍ وَخَرَجَ الْبَاقِي الَّذِي بَقِيَ عَلَيَّ
الشُّرْكَ . وَهَكَذَا كَانَتْ رَايَةُ الْإِسْلَامِ تَرْتَفِعُ عَالِيَةً خُفَّاقَةً فِي كُلِّ
مَكَانٍ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ « وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » سُورَةُ الرُّومِ - ٤٧ -